

تجليات الرمز اللغوي في الخطاب الشعري العربي

قصائد مختارة عن الثورة الجزائرية

The Manifestations of the linguistic symbol in the Arabic poetic discourse

Selected poems about the Algerian revolution

سامي عزيزي<sup>1</sup>، وهاب قارة<sup>2</sup>

<sup>1</sup> جامعة العقيد أحمد دراية أدرار - الجزائر - azizisami@univ-adrar.edu.dz

<sup>2</sup> جامعة العربي بن مهيدي - أم البواقي (الجزائر) abdelwahabkara04@gmail.com

تاريخ النشر: 2020/12/10

تاريخ القبول: 2020/11/16

تاريخ الاستلام: 2020/09/18

الملخص:

إنَّ التعبير بالرمز في الخطاب الشعري العربي أصبح ظاهرة أدبية اشترك فيها جلُّ الشعراء العرب، فمن خلاله يمكن أن نلمس ذلك التمايز بينهم، ولأنه يعدُّ فضاء رحبا وحيزا واسعا للابتكار والخلق الشعري، فالشاعر يتصور ويتخيل ثم يعبر بالرمز - هذا الأخير - الذي يتجلى فيه التباين بين شاعر إلى آخر، ويبقى المتلقي المتذوق لهذا الإنتاج الشعري من بين الذين لهم القدرة على اكتشاف هذه الخصوصية في استعمال الرمز.

كما نجد أن الرمز اللغوي قد سجل حضورا متميزا في النصوص الشعرية التي تناولت الثورة الجزائرية، وهنا تظهر أهمية التصوير الرمزي ودلالته، فالشاعر العربي يرغب غالبا في نقل أحاسيسه ومشاعره إلى المتلقي والتأثير فيه، ونجد في سبيل تحقيق ذلك يعبر بالرمز الشعري الذي يحتزل صورا بديعة، فهذا الرمز الذي يستعمله في السياق الشعري يضيف عليه لمسة شعرية خاصة، فيغدو الأداة المصاحبة لموقفه ومشاعره ونفسيته.

الكلمات المفتاحية: رمز لغوي; خطاب شعري; ثورة جزائرية; السياق الشعري; الظاهرة الأدبية

**ABSTRACT:**

*The expression by symbol in the Arab poetic discourse has become a*

المؤلف المرسل: سامي عزيزي

*literary phenomenon in which most Arab poets participated, and through it we can feel that distinction between them, and because it is considered a wide space and a wide space for innovation and poetic creation, the poet imagines, imagines and then expresses the symbol - the latter - in which the contrast between One poet to another, and the recipient of the connoisseur of this poetic production remains among those who have the ability to discover this peculiarity in the use of the symbol.*

*We also find that the linguistic symbol has recorded a distinguished presence in the poetic texts that dealt with the Algerian revolution, and here the importance of symbolic depiction and its connotations appears. The Arab poet often wants to convey his feelings and feelings to the recipient and influence him, and in order to achieve this we find that he expresses the poetic symbol that summarizes beautiful pictures, This symbol that he uses in the poetic context gives him a special poetic touch, thus becoming the tool accompanying his attitude, feelings and psyche.*

**Keywords: Linguistic symbol; Poetic speech; The Algerian revolution, the poetic context, the qadabiyya phenomenon**

#### مقدمة

يعتبر الرمز اللغوي جسراً أدبياً بين المبدع والمتلقي، فالشاعر يلجأ إليه للتعبير من خلاله عن الذات الشعرة من جهة وللتأثير في القارئ عبر معانيه ودلالاته المختلفة من جهة أخرى، ومن هذا المنطلق أصبح الرمز الذي سيطر على لغة الشعراء المعاصرين وهيمنَ على تراكيبيهم وصورهم من السمات الأسلوبية البارزة، وأحد العناصر التعبيرية التي يقوم عليها المنتج الشعري، إذ وجد فيه الشعراء العرب الحرية في التعبير عن خلجاتهم ومكنون ذواتهم وشعورهم تجاه الآخرين، لذلك نجد أن الرمز قد احتل ومختلف صورته المجازية والبلاغية مكانة بالغة الأهمية في بنية النص الشعري، بل أصبح معلماً بارزاً في التشكيل الفني للقصيد العربية، وغداً مصدرًا للارتقاء بشعرية وجمالية التشكيل الشعري، كما يعتبر أداةً من الأدوات الفنية التي يعتمد عليها كثير من الشعراء وبخاصة المعاصرين منهم للتعبير عن تجاربهم وغاياتهم وقضاياهم.

إن الشعراء العرب الذين قالوا في الثورة الجزائرية استعملوا الرموز استعمالاً كثيفاً، لكن لم تكن رموزهم صعبة عسيرة بقدر ما كانت سهلة وبسيطة، ويرجع ذلك إلى أنهم كانوا يحاولون جاهدين أن يصل شعورهم إلى أكبر عدد من الشعوب العربية المتضامنة مع الجزائر وثورتها، وأن يكون فهمها له غير مرتبط بقدراتهم العقلية والأدبية خاصة في فك شفرات الرموز وتحليلها، كما أن هؤلاء الشعراء وبأسلوبهم الواقعي المباشر لم

يكونوا يلجؤون لاستعمال الرمز إلا بسيطاً، ولعل من الأسباب التي أدت إلى اعتمادهم للأسلوب الواضح البعيد عن الضبابية والغموض هي أن أغلب الشعراء العرب إبان الثورة النوفمبرية كانوا حريصين كل الحرص على أن لا تضيق أفكارهم وسط التعقيدات الفنية التي تفوّت عليهم تصوير الثورة الخالدة بكل مشاهداتها وتفصيلاتها، كذلك لكونهم ألقوا في هذا التعبير بالرمز البسيط السبيل الوحيد لإيصال مبادئهم وأفكارهم إلى الجمهور الذي خدره التأؤب، ومزقه الضياع والتشتت، والذي أصبح يحتاج إلى الإثارة والدفع المعنوي، لذلك لا نجد في الكثير من النصوص الشعرية التي تغنى فيها الشعراء العرب بالثورة أثراً للرموز المعقدة، إنما هي رموز استقوا أكثرها من التراث العربي أو من الواقع المرير الذي تعيشه الجزائر، أو مستوحى من الطبيعة الحية والجمادة، ولقد ورد البعض منها في شكل صور بلاغية مبتكرة (استعارات، تشبيهات، كنايات).

ولقد حصلنا في أشعارهم - ونحن نتصفح أنتاجهم الشعري - على الرمز اللغوي أو «الرمز الذي يتبلور في كلمة واحدة»<sup>(1)</sup>، أما فيما يتعلق «بالرمز الذي يتبلور في كلمة واحدة، كان الشعراء المعاصرون قد اهتموا به لدرجة كاد معها كلُّ شاعر يُعرفُ برمزه المبتكر»<sup>(2)</sup>، فهذا النوع من الرموز يعتبر الأكثر استعمالاً وشيوعاً عند الشاعر العربي، ولعل هذا النوع من الرموز اللغوية حسب رأي (محمد ناصر) من أبسط الأنماط ف «بساطة هذا الرمز تظهر في اعتماد الشاعر على المفردة اللغوية واستخدامها استخداماً رمزاً لتدل على معنى أبعد من دلالتها الظاهرية عن طريق التشابه بين الداليتين، وهذا النوع من الرمز لا يختلف عن استخدام لشعراء القدامى المجاز اللغوي، لولا ما تحمله هذه الرموز من جدة دلالية لأنها تكون عادة تعبيراً عن واقع يعيشه الشاعر، ووسيلة يهدف بواسطتها إلى تصوير مشاعره النفسية.»<sup>(3)</sup>، كما يعتبر الرمز اللغوي «تعبيراً عن المشاعر والأحاسيس التي يرغب الشاعر في الإفصاح عنها، ومن ثم كانت تعبيراً صادقاً عن تطورات الحياة السياسية والاجتماعية التي واكبها الشعراء قبل الثورة وأثناءها وبعدها»<sup>(4)</sup>، ومن بين الرموز اللغوية التي أكسبها الشعراء أنفسهم خصوصية الرمز ما هو طبيعي، ومنها ما هو حيواني ومنهم من اعتمد على الرموز اللغوية الثورية، وسنحاول من خلال هذه الدراسة أن نقف عند كل نوع من هذه الرموز من خلال نماذج شعرية عديدة أجاد بها الشعراء العرب.

## 1 - الرمز الطبيعي

اعتمد الشعراء في حديثهم عن الثورة التحريرية أو عن رموزها على الرمز الطبيعي بشكل مكثف، فالشاعر العربي «في تعامله الشعري مع عناصر الطبيعة، إنما يرتفع باللفظة الدالة على العنصر الطبيعي كلفظة المطر مثلاً، من مدلولها المعروف إلى مستوى الرمز، لأنه يحاول من خلال رؤيته الشعورية أن يشحن

اللفظ بمدلولات شعورية خاصة وجديدة»<sup>(5)</sup>، ولقد تجسّدت ظاهرة استخدام الرمز الطبيعي عند جُلّ الشعراء العرب في التعبير عن المرحلة التي عاشتها الجزائر أثناء الثورة التحريرية، إذ نجدهم في قصائدهم متأثرين متأثراً جلياً بطبيعة هذه المرحلة الحساسة من تاريخ الجزائر، هذا التأثير جعلهم يلتقون في الإحساس ويتحدون في الشعور، كما جعلتهم يلتقون أيضاً في الرموز اللغوية الطبيعية، فجاءت متشابهة في دلالتها وإيجازاتها.

ومن بين الرموز اللغوية الطبيعية التي تكررت في القصائد العربية التي تغنت بالثورة الجزائرية الثنائية الضدية الليل والفجر، فهذان الرمان اللذان تنوعت دلالاتهما وتعددت، كانا وما يزالان مصدرين ثريين لدى الشعراء العرب يستلهمون منهما المعاني، ويستوحون منهما الصور، لكن وإن تفاوت هؤلاء الشعراء في استعمالهما تبقى دلالاتهما متشابهة عندهم جميعاً، فلقد استعملوا التعبير الرمزي بلفظ الليل للإشارة إلى المستعمر الذي ملأ سماء الجزائر ظلاماً كالحا، واستعملوا رمز الفجر الذي يلازم الليل غالباً بدلالات موحية بالثورة والتغيير والنصر والاستقلال، وهذان الشاعران العراقيان (حسن البياتي) في قصيدته "بطاقة معايدة إلى جميلة" و(شاذل طاقة) في قصيدته "الجزائر والفجر والشهيد" حريصان على استحضار المحتل البغيض برمز الليل ليصوروا مشاهد عاشتها الجزائر وعانتها، والفجر الذي يبشر بالثورة والانتفاضة على الواقع المرير، يقول (البياتي):

يا جميلة.

أنا لا أملك إلا كلماتي.

وهي من أعماق ذاتي.

من هنا أبعثها في يوم عيد.

وطني المؤمن بالإنسان.

يستقبل - رغم الليل - فجره...<sup>(6)</sup>

فالشاعر من خلال هذه الأبيات قانع، متيقن، مؤمن كل الإيمان بمجيء فجر التغيير والاستقلال وإن طال ليل الاستعمار، أما الشاعر (شاذل طاقة) فيبقى الليل عنده رمزاً أبدياً جسّد به معاناة الشعب الجزائري من اضطهاد المستعمر وويلاته وهمجته التي لا تفرق أحداً، وها هو يخاطب هذا الليل المظلم القائم متحدياً إياه، مستبشراً بفجر يأتي معه الخلاص فيقول:

يا ليلُ يا ليلُ الطغاة العابثينا.

أطبق وخيم بالضغينة.  
واجثم على وهران.. والبيت القصبي من المدينة.  
أطبق على الأطفال والأم الحزينة.  
أطبق على بيت الشهيد مجلجلا... خرق سكونه.  
الباب أُغلق منذ ساعات.  
فما من قادم له يفتحونه.  
وأبوه ما أبَّ بعد سفاره... لكنه وقي ديونه  
لا أحلام.. غير بشائر الفجر الذي يترقبونه.  
(...) أطبق وخيم.. إن فجر الشعب آت.  
يا ليل.

يا ليل الطغاة العابثينا. (7)

إن الجرائم التي ارتكبتها الاستعمار كانت من بين الدوافع التي أثارت في نفوس الشعراء العرب مشاعر الحقد الدفينة وكوامن الكره والضغينة، وليس من الغريب أن نجد رمز الليل شائعا عند هؤلاء الشعراء بالمدلول نفسه فتلك علامة على وحدة الإحساس والعاطفة والتجربة الشعورية، ويبقى الليل الرمز السائد في كثير من القصائد الشعرية العربية، فهذه الأشعار التي نُظمت عن الثورة الجزائرية الخالدة جعلت الليل تعبيرا رمزيا وصورة رمزية للاحتلال الفرنسي الذي جثم على صدور الجزائريين، إذ نجد هذا التعبير الرمزي بمختلف تسمياته (الليل، الدجى، الظلام، الديجور..) يتكرر عند كل الشعراء، فصوروا به الجزائر وهي تحت وطأة المستعمر مقيدة بقيوده وأغلاله، كما جسّدوا به رفضهم القاطع للاضطهاد المتواصل الذي لاقته منه.

إن التعبير برمز الليل سمة مشتركة بين القصائد العربية المتضامنة والمتفاعلة مع الثورة الخالدة، إذ تبوّأ الشعراء موقفا موحدًا من خلال هذا الرمز الذي حمل في طياته أبعادا قومية، وأختزلت بين ثناياه رؤية صادقة تجاه الجزائر وشعبها، وإزاء الأرض والعرض، لذلك نجد أن التعبير بهذا الرمز اللغوي يتكرر بالمعنى ذاته عند كل الشعراء، وهو الرمز الذي جعلوه بظلمته وسواده رمزا للوجود الاستعماري على أرض الجزائر، هذا الغازي الذي جُوبه بالصمود والفداء، فكان لزاما على فجر النصر أن يبرز، وفي هذا الصدد نظم الشاعران العراقيان (إسماعيل القاضي) في قصيدته "يا فتاتي" والسعودي (حمد الحجري) في قصيدته "ليل

الاستعمار " شعرا جامحا بإحساس متأجج، يتقد في نفسيهما، فألهبهما حقدا وضغينة على الظالمين، يقول (إسماعيل القاضي):

لبس الليل ثم صبحا تعرى.

كل عين تراه تجمد عبرى.

نسى المجد وهو بالبؤس أدرى.

يا فتاتي إن ليل فجر. (8)

وأما الشاعر (حمد الحجي) فيقول في قصيدته "ليل الاستعمار":

لا لن يدوم شقاؤنا ..

فحياتنا الغرباء أفضل من دياجيها المنون.

لا.. فالغد الوضاء يقذف بالشموع.

ولسوف يبدو الفجر يطفح بالجموع الثائرين.

ولسوف ينحسر الظلام. (9)

ازدحمت في هذه الأسطر الشعرية رموز طبيعية وهي الليل (الدجى، الظلام)، والفجر (الصباح)، بإيماءتها المحدودة لا تتجاوزها، فالليل والدجى والظلام يرمزون لفرنسا التي تبنت الظلم والاضطهاد سياسةً ومنهجًا وشعارًا، أما الفجر والصباح فهما يرمزان لضياء النصر ونور الاستقلال الذي سيسطع مهما طال الديجور، وعلى الرغم من مجيء رموز الشعارين على قدر كبير من البساطة والوضوح، إلا أنها أعطتنا معناً واضحاً وصريحاً للصراع الدائر رحاه بين ذات الشاعر الحاملة وواقعه المر المتأثر بحال الجزائر الجريحة.

أما الشاعران العراقي (مصطفى نعمان البدرى) والمصري (محمد التهامي) فيتخذان من الرمز وسيلة للتعبير عن حالتيهما الشعورية، فيتحدثان عن فجر استقلال الجزائر الذي بدد ليل الاستعمار والعبودية، يقول (البدرى) في قصيدته "الفجر الوليد":

الله أكبر من جلال الفجر يستبق البشائر.

حيناً أفاق على الحياة تدب من قلب الجزائر.

وأطل من خلف الخنادق يهزم الليل المغادر

فأعاد للإيمان ديدنه مع البأس المخاطر. (10)

و(التهامي) في قصيدته "فرحة النصر" التي يقول فيها:

هذي الشوامخ قد عزّت بما بذلت      وحققت بمواضي عزمها الخُلما.  
كم شدت الليل تطويه وتعصره      ليولد الفجرُ يحو الظلم والظلما.<sup>(11)</sup>  
ومثل ذلك يقول الشاعر العراقي (حميد حبيب الفؤادي) في قصيدته "إنها المعركة":  
الليل يلفظ آخر الأنفاس في ..  
أرض الجزائر.

يشيع الأوغاد في خزي... يلاحق كل سافر.<sup>(12)</sup>

يبين لنا هذا الخطاب الشعري أن الشعراء على اختلاف جنسياتهم ما لجؤوا إلى رمز الليل إلا ليعبروا به عن الحالة التي يعيشها الجزائري، وليؤكّدوا به الإيمان بانتصار الثورة، وليضمنوا تأثيرا عميقا في المتلقي، وليرفعوا من قيمة القصيدة لتكون أكثر شعرية.

طالما حرّكت ثورة الجزائر في نفوس الشعراء عطاءهم الأدبي، ومُخَيّلهم الشعري، فقدموا قصائد همهم يروون في ذلك واجبا على كل شاعر عربي يشعر أنه ينتمي إلى هذه الأمة المجيدة، هذا الشعور بالمسؤولية جعلهم يرافقون الثورة النوفمبرية بوجدانهم وضمائرهم، وكانوا يتبعونها باستمرار ودأب، ولإيمانهم العميق بما اعتبروها مثالا يُتخذى به في الجهاد الحق في سبيل الحرية والكرامة، وهذه الشاعرة المصرية (زينات الصباغ) في قصيدتها "أخي في الجزائر" تبعثها صرخة قوية في وجه الظلم، تعكس دعوة صريحة إلى الثورة على المستعمر، فتقول:

أخي، أقبل الفجر هيا بنا.

ونور الصباح تراءى لنا.

فشق الضباب أخي لا وجل.

فعمر الظلام قصير الأجل...! <sup>(13)</sup>

جمعت الشاعرة في هذه الأسطر الشعرية بين لفظتي (الظلام) و(الفجر، الصباح) المتضادتين لونا وزمنا، لترمز إلى ظلام فرنسا الحالك وإلى فجر الاستقلال وصباح الحرية المنير، ولقد حققت الشاعرة بهما نوعا من الانسجام في المعنى على الرغم من تناقضهما التام. وتلك هي القيمة الفنية التي سعت الشاعرة إلى الوصول إليها وتحقيقها، كما أبانت هذه الرموز الشعرية عن براعتها وقدرتها على اختيارها الدقيق لبعض الألفاظ التي تحمل قدرة تعبيرية عن مشاعرها وأحاسيسها.

إنَّ المضمون الجمالي للرمز مرتبط بالسياق الذي يوضع فيه والمتعلق بالتجربة الشعورية للمبدع، وليس من الغريب أن نجد رمز الليل بتغير مضمونه، ويتجدد وفق السياق الشعري والتجربة الشعورية، فهما في النهاية يفرضان مضمونا خاصا به، وبناءً على ذلك وجدنا مضمون رمز الليل عند الشاعرين العراقيين (حياة النهر) و المصري (محمد التهامي) تختلف صورته الرمزية عن الصور الأخرى، فإذا رجعنا إلى قصيدة الشاعرة "لا تسلني" التي تقول فيها:

لا تسلني

وسل الإخوان في أرض الجزائر.

ودموع الثكالي الأيم عن تلك الجرائم.

(...) لا تسلني كم من الليل قضينا.

نشتكي الحيف، والحق لدينا.<sup>(14)</sup>

وقصيدة (التهامي) الموسومة بـ "جميلة" والتي يقول فيها:

أختاه، يا رمز العروبة كلها لا فرق بين مدينة وقبيله.

كم عاث الاستعمار في أوطاننا وأطال ليل البهيم سدوله.

وافتن في تعذيبنا وخداعنا وأطال في تفريقنا تضليله.

حتى تيقظ شعبنا ومشى بنا للفجر يرفع فوقنا قنديله.<sup>(15)</sup>

لتبيّن لناظر في هذين المقطعين أن الشاعرين جاءا بالتعبير الرمزي بلفظ الليل ليدلاً على حجم المعاناة والألم وليعبرا به عن الظلم والقهر، وانطلاقاً من كون الرمز الشعري يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالتجربة الشعورية التي يمر بها الشاعر، لأنه يرتبط بالذات والرؤية الذاتية للمبدع وبالتجربة الشعورية المعاشة، كشف التعبير بهذا الرمز عن مشاعر الشاعرة الحزينة، والمتألّمة المطبوعة بواقع الاستعمار المر، إذ يختزل هذا الرمز طاقة دلالية تبوح بمخزون عاطفي عميق، فلفظ الليل الذي كان يدل على الهدوء والطمأنينة والسكينة، أصبح وفق السياق الجديد الذي وضعه فيه الشاعران وفي صورة غير مألوفة لدى المتلقي يُرمز به لفرنسا المتجبرة، وللمعاناة التي عانتها الجزائر بسببها، فالشاعران شحنا الرمز بمدلول شعري خاص، ليسمح له بالتعبير عن ذاتيهما الشاعرة، لذلك أصبح مرتبطاً وفق ما وضعه فيه الشاعران بالتعذيب والتنكيل.

لقد عبّر الشعراء العرب وإلى جانب التعبير الرمزي بالليل برموز طبيعية أخرى مستوحاة من الطبيعية أيضاً كالغيث والسحاب مثلاً، ونجد ذلك عند الشاعر العراقي (بدر شاكر السياب) في قصيدته "ربيع الجزائر":



سلاما بلاد اللظى والخراب.

ومأوى اليتامى وأرض القبور.

أتى الغيث وانحل عقد السحاب.

فروى ثرى جائعا للبذور.

وذاب الجناح المديد.

على حمرة الفجر تغسل في كل ركن بقايا شهيد.<sup>(16)</sup>

لقد سجل الرمز حضورا متميزا في النصوص الشعرية التي تناولت الثورة الجزائرية، وهنا تظهر أهمية التوظيف الرمزي ودلالته، فالشاعر يرغب غالبا في نقل أحاسيسه ومشاعره إلى الآخرين والتأثير فيهم، ونجده في سبيل تحقيق ذلك يعبر بالرمز الشعري الذي يختزل صورا بديعة مبتكرة، فهذا الرمز الذي يستعمله في السياق الشعري يضيف عليه لمسة شعرية خاصة، فيغدو الأداة المصاحبة لموقفه ومشاعره ونفسيته. وتعبير بتَّسم بالتلميح والإشارة الخفية جمع (السياب) في مقطعه رموزا ترسم مستقبلا مشرقا، رموز يغمرها التفاؤل وهي (الغيث، السحاب، الفجر)، فالشاعر شحن هذه الألفاظ بمعاني جديد قصد استتارة القارئ وجعله يتجاوب ويتفاعل قراءة أو سماعا، وهذا ما يسمّى بالتجاوز أو الانزياح عن المعنى المألوف، فالغيث الذي كان يرمز للخير والعطاء والرحمة، الغيث الذي طالما مثل ورمز للحياة والخصب، جعله الشاعر في هذا المقطع يرمز للثورة والتغيير، أما السحاب فرمز به إلى ما ستخلفه هذه الثورة من عزة وكرامة، والفجر للاستقلال والحرية، ويترسخ هذا المعنى أكثر في نفس المتلقي عندما يتمعن ما تحمله هذه الرموز من إرادة صادقة، ورغبة عارمة، وجامحة في الحياة الكريمة الهنيئة.

إن الظاهرة اللافتة للنظر في قصائد الشعراء العرب هي أن أغلب عناوين قصائدهم تختزل رموزا أدبية ينطلقون منها في بناء صورهم الرمزية، هذه العناوين أصبحت تشكل العتبة الأولى للنص الشعري، والمدخل الدلالي للقصيد، فمن خلاله يتجلى المضمون ويتضح، كما أن تشابه مضامين الرمز في قصائدهم يبدوا واضحا لغلبة الحس الجماعي عليهم، فالشاعر العراقي (حميد حبيب الفؤادي) في قصيدته "يوم النصر" يستوحي مضامين رموزه من وحي معاناة الجزائريين، مما جعل لإبداعه الشعري صدى وجدانيا عميقا لهذا الشعور، إبداع تَصَامَنَ به مع مأساة الجزائريين، وما حل بها من آلام وجراح التي أعقبتها بشائر وأفراح، يقول:

أشرق الشمس وهذا الصبح يا جزائري.

بحر من الفرحة والثوار والبشائر.<sup>(17)</sup>

ويقول في القصيدة نفسها:

أشرقت الشمس وولى الليل بالغياب.  
فيا أكف أتحدى دوما بكل جانب.<sup>(18)</sup>  
أما الشاعر (حسن البياتي) فيقول في قصيدته "ضحكة جميلة":

وتنير الظلمات

لرفاق الشمس، أحرار الجزائر.<sup>(19)</sup>

ويقول (حميد فرج الله) في قصيدته "في عيد استقلال الجزائر"

أيه جزائر لاح الفجر فابتسمي وأشرقت شمس آذار يدنيا.  
هيا اقدني نعش الاستعمار منحدرًا وشيعي للحناء والعار جثمانا.  
بالأمس أطعمت في الصحراء من جثث الأوغاد والأذنيا وحشا وعقبانا.  
أفهمتهم بأن الأرض آكلة من داس تربتها ظلما وعدوانا.  
من راح ينهب خيرات بها ومضى يشيد للظلم والطغيان أركانا.  
واليوم بالنصر والعزم الأكيد فقد هدّمت قسراً للاستعمار بنيانا.<sup>(20)</sup>

لقد أيقن الشعراء العرب بأن التعبير المجازي بالرموز - يكون غالبا - أقدر من التعبير الحقيقي في إظهار جمال الصورة، وصدق الإحساس، فلقد استطاع الشعراء استثارة المتلقي من خلال جعله يكتشف المعاني الإيحائية العميقة لهذه الرموز، ومن بين الرموز الابتكارية التي غدت رموزا خاصة بهم والتي شحنتها بشحنات خاصة وذاتية رمز "الشمس" فهذا اللفظ الذي يرمز في إشراقه للحرية والاستقلال والخلاص من قيود الاستعمار الفرنسي، اعتمده الشعراء ليحسدوا به شعور التفاؤل لديهم، وليصوروا حالة الجزائر من حاضر حزين إلى مستقبل واعد وسعيد.

## 2 - الرمز الحيواني

لقد تعامل الشاعر العربي مع مظاهر الطبيعة الحية والجامدة من خلال رموز ارتبطت أساسا بتجربته الشعورية، وتأثير من بيئة الجزائر، فنجده يرسم ما شاهده وما سمعه وما أحس به مستعملا رموزا كانت في مجملها وسيلة لإغناء قصائده، فرموزه الشعورية المبتكرة تضافرت لتكشف عن الحس القومي عنده، وعن الإحساس بمعاناة الشعب الجزائري وهمومه، ولأن التعبير بالرمز الشعري يعتبر من أكثر الأدوات الفنية انتشارا في بنية القصيدة العربية التي تحدثت عن الثورة الجزائرية، لكونه يمنح الفرصة للشاعر لتجسيد تجربته

ورؤيته الشعورية التي تتحدد من خلالها الرؤية الشعرية، تنوعت الرموز وتشعبت مصادرها وطريقة تناولها، فإلى جانب الرموز الطبيعية - التي أشرنا إليها سالفًا والمتداولة بكثرة عند الشعراء العرب - استغل الشاعر الرمز الحيواني في أسلوب بديع عميق الدلالة، فكان لهذا الرمز حضورًا قويًا في القصائد العربية التي جسدت تفاعل الشاعر العربي وتجربته مع الثورة النوفمبرية.

لقد صورت القصيدة العربية حياة الجزائري، ونقلت معاناته، وأحزانه الدفينة، ورغبته الجارحة في الثورة على الاحتلال لاسترداد الوطن المغتصب، واسترجاع السيادة الوطنية، فالجزائري الذي ذاق الحرمان والمرارة والظلم، هو نفسه الذي قدم تضحيات جسيمة من أجل حريته وكرامته، والحفاظ على أصالته ومجده، فكان أكثر شراسة وأشد عنفا في مواجهته للاستعمار الغاشم، ومن الأمثلة على الذي قلنا مقطع الشاعر العراقي (حميد فرج الله) من قصيدته "تحية إلى الجزائر" التي يقول فيها:

أبى أبناءؤك الأحرار إلأً افتدأك بالنفوس الزاكيات.

فراحوا للنضال ليوث حرب مزمجرة فكانوا الأضحيات. (21)

ويقول في القصيدة نفسها:

فبنوك استعدبوا بالحمد موتا فيا سعدا لأبناء وأبأة.

فساروا للكفاح أسود غاب كماء كالزوابع راعدات. (22)

يعبر الشاعر في هذه الأبيات الشعرية بالإيماء والإيحاء والإشارة، فعندما يستعمل لفظتي (الليوث، الأسود) لا يعني بهما في هذا السياق الشعري تلك المخلوقات المتوحشة، وإنما أصبحت ترمز إلى المجاهدين البواسل الذين بذلوا الغالي والرخيص من أجل استرجاع سيادة الجزائر، والحفاظ على شرف الأمانة التي مات من أجلها الشهداء الأبرار.

وعلى الرغم من بُعد الشاعر العربي عن معقل الثورة عندما نظم قصائده، إلا أن بطولة المجاهدين كانت تثير في نفسه شعورا قوميا فياضًا، وتبعث في وجدانه مشاعر الفخر والاعتزاز، فيحاول أن يعوّض ما فاته في ساحة الوغى من شرف الإسهام في الجهاد بقصيدة رائعة يضمنها مشاعر الإجلال والإكبار، ولواعج الشوق نحو إخوانه المجاهدين، وفي هذا المعنى يقول الشاعر السوري (عبد الله بدر) «.. وإذا كانت حرب التحرير لديكم مشتعلا أوزارها فقد كنت أعيش كل خلجة في صدور أبطالنا بالجزائر الشقيقة» (23).

وهذا الشاعر السعودي (زاهر عوض الأملعي) يخاطب المجاهدين في قصيدته "ثورة الجزائر" يدعوهم للسمود والثبات لتخليص الجزائر من براثن الاستعمار، فنجدته يتحدث إليهم بالتعبير الرمزي، فيرمز لهم بلفظة (الأسود) التي تدل على القوة وشدة البأس، بالإضافة إلى دلالتها الرمزية على الشجاعة والإقدام، يقول:

يا أسودا من (الجزائر) صولي كي تحوزي المنى ويعلو الفداء.  
 إن كل الحياة دار جهاد يتولى قياده الزعماء.  
 فاستميتي على النضال ودكي كل حصن يقيمه الأعداء.  
 لم تعد معقل البطولة وكرا يجتويه البغاة والدخلاء.<sup>(24)</sup>

ويستوقفنا الشاعر السوري (عادل بن شعبان) وهو يستحضر صورة المجاهد الجزائري في ساحة الحرب ويتعايش معه لحظات الكفاح المرير، وملحمة النضال بما فيها من آلام وآمال، إذ يقول «وأنا أنظم شعري عن الثورة الجزائرية أستلهم صورة هذا المحارب الفذ في ذهني وقد هبَّ لاسترداد حريته بالسلاح ساخرا من الموت يطمع الاستعمار في قهره فتتخطم أطماعه»<sup>(25)</sup>، ففي الوقت الذي هب فيه المجاهدون للدفاع عن الوطن والذود عن حياضه، مفضلين الموت في ساحة الحرب والنزال على حياة الذل والعبودية، يتجلى أثر الثورة في القصيدة العربية المعاصرة، فثُلب الأحاسيس، وتغذّي العنصر العاطفي في الأشعار المتضامنة معها، وفي خضم هذه الشدائد والأهوال يظهر الشعراء وتبرز الشهامة والحمية والنزعة القومية، وفي هذا المقام يطلُّ الشاعران المصري (محمد هارون الحلو) بقصيدته "يوم الجزائر" التي يقول فيها:

حشدنا لك اليوم جند الطعان.

أسودا تصول بأمضى سنان.

وتسقي الردى كل وغد جبان.<sup>(26)</sup>

ثم يضيف قائلا:

بلاد الجزائر أرض الخلود.

وأحرارها من كرام الأسود.

ستدرك ما تبتغي في الوجود.

وتغدو بفوز ونصر مبين.<sup>(27)</sup>

والشاعر السعودي (أسامة عبد الرحمن) في قصيدته "شعب الجزائر" ويقول فيها:

يا أمة... قد سطرت... تاريخها سفرا.. على صفحاته.. الإعظام.

لحماك نحن... وفي دمانا قد جرى حب..ستبدبه.. لك الأيام.  
سندود عن حوض العروبة... إننا يوم الكريهة..كلنا ضرغام.  
والويل.. للمستعمرين... إذا دجا ليل الوغا.. وعلا الرؤوس..قتام.<sup>(28)</sup>

إن المتمعن في هذه الأشعار يجد أنه لكل شاعر من الشعارين أسلوبه الخاص في اختيار الرمز وفي كيفية توظيفه من أجل إثارة أعنف المشاعر في نفس المتلقي، ف (محمد هارون الحلو) رمز للمجاهد بلفظ "الأسود" أما الشاعر (أسامة عبد الرحمن) فرمز إليه باسم من أسماء الأسد وهو "ضرغام"، إلا أنهما وإن اختلفا نجدهما قد استخدما الرمز بانفعال عميق بما يحمله ويختزله من إشارات رمزية، فلقد استلهما بوعي صادق واستوحاه من عمق نفسيهما وباطنيهما.

لقد تجاوب الشعراء العرب مع الثورة الجزائرية التي عاشوا بها ولها، وحملوها في قصائدهم وحياتهم، وفي كل نبضة من نبضات قلوبهم، فنالوا بذلك شرف المساهمة في الكفاح المسلح الدائر رحاه على الأرض الطيبة، فهم يقاتلون جنبا إلى جنب مع الثوار الجزائريين بشعرهم وكل ما جادت به قرائحهم، وفي ذلك يقول الشاعر السوري ( محمد سعيد مراد) « كنت أعيش الثورة بأحاسيسي ومشاعري وكأني مع كل نائر في تلك الديار التي آلت على نفسها ألا تضع سلاحها دون أن تحصل على استقلالها وتطرد المستعمرين من أراضيها»<sup>(29)</sup>، هذا الشعور أطلق ألسنتهم التي تغنت منشدة أشعارا مغمسة بالغضب والثأر والانتقام، يقول الشاعر العراقي (زهير أحمد القيسي) في قصيدته "إلى شاعر جزائري شهيد":

وفي ذرى الجبال كالنسور.

يعتصم الثوار كالنسور.

وكان فيهم شاعر جسور.

سلاحه الإيمان بالكفاح.

ووجهه يضيء كالصباح.

وكان يهب العروق بالنشيد.

"تطلعوا لفجرنا الجديد.."<sup>(30)</sup>

ومثل ذلك ما قاله الشعراء، العراقي (محمد علي يعقوبي) في قصيدته "فرنسا والجزائر المجاهدة" والسوري (أحمد علي سليمان) في قصيدته "أوراس شاحخة"، والسوداني (عمر الصديقي) في قصيدته "صوت الجزائر"، يقول (اليعقوبي):

ليس يدري العدو مذ هاله الخطب واحتدم.  
 حيث لم يلف منهم ملجأ فيه يعتصم.  
 أصقور من الفضا أم ضواري من الأجم.  
 صبغوا الأرض بالدماء مذ جرى سيلها العرم.  
 وجلوا عن سمائها سحب الظُّلم والظُّلم.<sup>(31)</sup>

أما (أحمد علي سليمان) فيقول:

تبلج الصبح، فانهض يا أخي العربي واصمد بعزمك هول الدهر والحب.  
 حومت كالنسر في أحواء ساحتها وصدت كالصقر أعداء، فمر، تجب.  
 فلئن الدهر آيات الجهاد وكن ذؤابة الشعب، كي تهدي بني العرب.  
 قد أوقدوا في دنا التاريخ شمسهم وهاجة بالدم المهرق، لم تغب.<sup>(32)</sup>

ويقول (الصّدّيق):

وهم أشعلوها في ربّي ومغاور وهم أشعلوها في قرى ودساكر.  
 وهم ضربوا الأعداء ضربة لازب وهم أحدقوا مثل النسر الكواسر.<sup>(33)</sup>

يعتبر الرمز إحدى أدوات الشاعر التعبيرية، ويعد أيضا من أفانين التعبير الموحية والمعبرة عن التجربة الشعرية الإبداعية للشاعر، وهذا ما نلمسه عند الشعراء الأربعة، فالأوضاع التي كان يعيشها الجزائريون شكّلت لديهم حافظا ومثيرا وملهما لنظم الشعر، فهم لم يقدرُوا على كتم عواطف الحزن والأسى، وإخفاء الزفرات على ما حلَّ بالجزائر بعد أن كانت ترفلُّ في العز والجد، فيطلقونها صرخة مدوية أملا في الأحرار المتطلعين إلى الحرية لأخذ الثأر وتحرير الجزائر، وهم في صرختهم يعبرون بالإشارة والإيماء، فنجدهم يشحنون سطور وأبيات نصوصهم الشعرية برموز بديعة، جاءت في صور رمزية تخيلية مبتكرة جمعت بين الجدة والإبداع، فرمزوا للمجاهد المرابض في الجبال والشعاب بـ "النسر" و"الصقر" وهما رمزان حيوانيان يرمزان للرفعة والعزة، والقوة والشجاعة والسمو، رمزان بيّن به الشعراء التفاف المجاهد بالثورة، وضموده في الدفاع عن الوطن، فما تضحيته إلا تعبير صادق عن حبه الدفين، وتعلقه بالعزة والكرامة، ورفضه لكل أشكال الاضطهاد والاستعباد.

أما الشاعر السوري (أحمد مظهر العظمة) فيتحدث في قصيدته "نصر الجزائر" بالتعبير الرمزي بلفظتي "النسر" و"الأسد" للإشارة إلى المجاهد في كبريائه وأنفته، وإلى شجاعته وشموحه، يقول:

جند الجهاد وإنهم أعلى من الذهب الجميع.

في الغاب في القمم التي تأوي النسور بلا خنوع.

الرابضون كأنهم أسد الشرى فوق الربوع.<sup>(34)</sup>

فالشعب الجزائري الذي عانى الجوع، وقاسى الفقر والخصاصة، وتعرض لأسوأ احتلال الذي كَبَلَهُ بأغلال الذل والهوان، يبقى الشعب الذي تعود على النضال، وتمرس على مواجهة المحن، حتى لم يعد في إمكان الاستعمار بكل أساليبه الوحشية أن يقتل في فؤاده تعلقه بالثورة وحبه للحرية.

وكما جمع الشاعر (أحمد مظهر العظمة) في قصيدته بين رمزي النسور والأسد، يبدع الشاعر العراقي (شفيق الكمالي) في الجمع بين رمزين غير متلازمين، متباعدين من حيث دلالتهما، الحمامة رمز الصفاء والسلام والوداعة، واللبؤة رمز القوة والشجاعة. يقول الشاعر في قصيدته "جميلة":

تعيش في قلب الثرى الأحمر.

حمامة سجيئة.

ما أروع السجيئة.

ما أروع الصمود من جميلة.<sup>(35)</sup>

إلى أن يقول:

جميلة اللبوة الجريحه.

تفتت فوق ثغرها ابتسامه.

كأنها تقول

لتشرب السياط من دمي.

ليرتوي الجلال.<sup>(36)</sup>

أما الشاعر المصري (حسن فتح الباب) فيربط في قصيدته "رسالة من جميلة" بين البطلة جميلة والحمامة رمز السلام والحرية، فمهما بالغ الاستعمار في التعذيب والتككيل لا يمكنه أن يُنسي جميلة نشوة الحرية والخلاص والانعقاد، يقول في المقطع الرابع من قصيدته:

اللحظ ذاب في حنان.

منذ اختفت غياهب القضبان.

وضل في طريقه السجان.

وانطلقت حمامة إلى الفضاء.

بيضاء تحمل الأمان للتلال.

يا إخوتي والفجر جاء.<sup>(37)</sup>

إن استعمال الرمز يختلف من حيث الدلالة من قصيدة لأخرى بل من شاعر لآخر، وهذا ما نجد عند الشاعر العراقي (علي الحلبي)، فإن ربط بعض الشعراء العرب الحمامة بالسلام والحرية فإن (الحلي) ألصقها بالضعف والحزن، يقول في قصيدته "من جان دارك إلى جميلة":

وأنت في مخالِب القدر.

حمامة بلا جناح.

تلحق من معاصر الجراح.<sup>(38)</sup>

ما انفكَّ الشاعر العربي يتتبع الجزائريين، ويشاركهم حياة البؤس والشقاء، ولذلك ظل يحمل بين جوانحه الحنين إلى الأرض الغالية والشوق إلى ثوارها الأحرار، يقول الشاعر السوري (محمد غالب زين العابدين) «كان شعوري وأنا أنظم هذه القصائد الست صادرا كما تلمسون عن عاطفة صادقة لا تكلف فيها، وأشعر كأني أعيش مع الثوار المناضلين وأشارك الشعب الجزائري الشقيق آلامه وآماله، وأنا متفائل بالنصر القريب بعد ذلك التصميم والعزم الأكيد والتضحيات الغالية التي قدمها الشعب الشقيق على مذبح الحرية»<sup>(39)</sup>، هذا الشعور الصادق بالانتماء تقاسمه كل الشعراء العرب الذين عاصروا الثورة الجزائرية وتفاعلوا معها، وهذان الشاعران السوريان (صلاح الدين كديمي) و(عبد الله بدر) يؤكدان هذا المعنى، فيقول (كديمي): «كنت أتمنى لو تنقلب كلمات أشعاري شواظا ألهب به وجوه المحتلين»<sup>(40)</sup>، أما (بدر) فيقول: «وإذا كانت حرب التحرير لديكم مشتتلا أوزارها فقد كنت أعيش كل خلجة في صدور أبطالنا بالجزائر الشقيقة»<sup>(41)</sup>، ولتجسيد هذا الشعور اعتمد الشاعر على الرمز بالقدر الذي يعينه على توضيح الفكرة، وأداء المعنى، فيصوغه بحسه الفني المهرف، ورؤيته الشعرية الراقية، فتصبح الرموز معادلا موضوعيا له، تحس بما يحس، بل تشاركه آلامه وجراحه وعذابه، فنجده يفرغ فيها جزءا من آهاته، ويسقط عليها معاناته، حتى غدا هذا الرمز جزءا من عذابه، وهو في استعماله لمثل هذه الرموز التعبيرية يلجأ إلى عدم الإفصاح عن الدلالة المقصودة منها، فهذه الطريقة يتيح للمتلقي أن يتمتع بلذة الكشف عن مدلولاتها المختلفة، فلقد أدرك الشاعر العربي ما في الرمز من طاقة تعبيرية وتصويرية تفتح أمام المبدع والمتلقي فيضا من الإيماءات



التي لا تنفذ ولا تنضب، خاصة إذا أجاد الشاعر استخدامه، وفي هذا الصدد يقول (يونج) «هو أحسن طريقة للتعبير عن الشيء لا يوجد له معادل فكري آخر»<sup>(42)</sup>.

إن الحديث عن فرنسا يُحيلنا عفويًا إلى ذكر القصائد العربية التي استخدمت الرمز الحيواني في صور شاخصه ناطقة بمدلولاتها الإيحائية وإشاراتها الفكرية العميقة، رموز استطاع الشعراء أن يُكسبوا قيمة إيحائية وتعبيرية كشفت عن تلك العوالم النفسية التي ما فتئوا يعبرون عنها، ومن الرموز الحيوانية التي شاعت عند الشعراء العرب نجد (الذئب)، هذا الأخير جُسد في صور شعرية بدیعة رُمز بها إلى فرنسا في غدرها وخبثها، فسجلت وبصدق - صدق الإحساس والتجربة - جانبًا من صراع الشاعر مع أعدائه، ويتضح ذلك في قصيدة الشاعر العراقي (راضي مهدي السعيد) الموسومة بـ "رفاق الفجر" حيث يقول فيها:

هنا بذی الغابة یا رفاق.

قد نامت الذئاب.

لتحرس المدينة السليبية التراب.

هنا هنا قد نامت الذئاب.

فاندفعوا جميعكم - كالهول - يا رفاق.

عليهمو وشددوا الحناق.<sup>(43)</sup>

ويقول في القصيدة نفسها:

هنا بذی الغابة یا رفاق.

قد نامت الذئاب.

نامت ونام الليل مكدودا، ونامت.

أعين الحراب

فاندفعوا - كالسيل - يا رفاق.

واخترقوا النطاق

ولا تهابوا الموت والظلام.<sup>(44)</sup>

وما يؤكد هذا المعنى ما قاله الشاعران السوريان (حنا الطباع) متحدثًا عن فرنسا في قصيدته "لبيك يا جميلة":

خلعت فرنسا ثوبها الشفاف فانتصبت رذيله.

والذئبة الشقراء لن تنسى مواقفها الذليله

الذئبة الشقراء تفتك بالبنين وبالبنات.

وفريسة الغدار لا تعدو الرضيع أو الفتاة.<sup>(45)</sup>

وشاعر الثورة الجزائرية (سليمان العيسى) في قصيدته "الرسالة السادسة عشر" والتي يقول فيها:

قديسة جديدة للسجن للذئاب.

تطعم نار الساحة الحياة والشباب.

ناديت يا أرض الفداء.. فالدّم الجواب.<sup>(46)</sup>

ولما كانت المعاناة حاضرةً والأمل بالانتصار راسخاً في الصدور، يبقى شعور الشعراء العرب موحداً وهم

يتحدثون عن وإلى فرنسا، فهم يستحضرونها في قصائدهم بأبشع الصفات، وأقبح التشبيهات، فهذا

الشاعر العراقي (محمد جميل شلش) في قصيدته "يا أمّتي شدي الجراح" يصفها أيضاً (بالذئب) فيقول:

ما بالناء، والبغي في أرجائنا ذئب يصول على الضعيف الواني.<sup>(47)</sup>

أما الشاعر المصري (أحمد حسين عطا الله) في قصيدته "مدفع إلى الجزائر" فيخاطب فرنسا هاجياً، ناعياً

إياها بالذئب الوحشي البربري، والذئبة المحبولة، فيقول:

يا فرنسا، وكيف أذكر اسما وطئته النعال لا لن أقوله.

أي مستنقع عميق المآسي خوضت فيه نفسك المشلولة.

أي نهر مدنس .. أي رجس ولغت منه روحه المخذولة.

فتبدت للوجود .. كذئب بربري .... كذئبة محبولة.<sup>(48)</sup>

فالشعراء استغلوا الصورة الشريرة للذئب للحديث عن الاستعمار الفرنسي الظالم، فجددهم يرمزون لفرنسا

التي ارتبط اسمها وتاريخها بأعمال القهر والتسلط والقمع والموت برمز (الذئاب)، و(الذئبة الشقراء)

و(الذئب البربري) و(الذئبة المحبولة)، فهي رموز تدل على الظلم والطغيان، والغدر والتقلب وعدم الثبات

على حال واحدة، كما أشاروا بهذه الرموز إلى السّاسة الفرنسيين وما يدبّرونه من مكائد مدمرة.

لقد انتفض الشعراء العرب وسخطوا على فرنسا التي كانت رمزاً للظلم والجور، والاعتداء على حقوق

الضعفاء العزل، ولعلّ ما حلّ بالشعب الجزائري من المصائب والمحن لأكبر دليل على ذلك، ومما زاد من

توكيد هذا المعنى التعبير الرمزي بألفاظ (الغول، الوحش، الكلب، القرد، الأفاعي، الطاووس) بكل ما توحيه

هذه الألفاظ من دلالة الإرهاب، والرعب، والوضاعة، والغرور، والشر، والخبث، والخيانة، وهذا التنوع في التعبير الرمزي ووفوته يعتبر ملمحاً رمزياً يستحق الاهتمام والتنويه والتقدير.

ولقد وردت هذه الرموز على تنوعها وتشعبها في كثير من القصائد العربية المشحونة بشحنات ثورية، رموز انطبعت في ذهن المتلقي فأثارت فيه انفعالات متنوعة وأحاسيس مختلفة، جعلته يشارك الشاعر تجربته ويتفاعل معها، والملاحظ أن الشاعر تجنّب في التعبير بالرمز الشعري فوضوية وعشوائية الإيماءات الرمزية، كي لا يفوّت على نفسه الإمتاع والتأثير، ونستحضر في هذا المقام ما ورد في قصيدتي الشاعرين (حميد حبيب الفؤادي) "إنها المعركة" و(عبد الله الجبوري) "شعاع النصر"، فالشاعران يتشاطران الموقف نفسه، ويعبران بالرمز ذاته، فنجدهما يصفان فرنسا وبالتعبير الرمزي بـ (القرد) الذي يدل على الخزي والعار والذل، يقول (الفؤادي):

سارت جحافل ذلك الشعب العظيم.

لتدك أعناق القرود.

المعتدين بلا ضمير.<sup>(49)</sup>

وهذا (الجبوري) يقول:

قد رفّ هذا النصر خفاق البنود والغار يلمع فوق هامات الأسود.

وغدا يطل على (الجزائر) ... باسمها يطوي الدجى ويهدّ أركان القرود.

وغدا يسيل الخلد فوق ربوعها والنور يطوي ظلمة (الليل) العتيد

وإذا تعرى الفجر أسفر باسمها كالأفحوانة في الربا أو كالورود.<sup>(50)</sup>

ويرمز الشاعران السعوديان (حسن عبد الله القرشي) في قصيدته "سنسحق أعداءنا" و(صالح الأحمد العثيمين) في قصيدته "الجزائر" للاستعمار الفرنسي بـرمز (الكلب)، فالكلب الذي طالما كان رمزاً للوفاء والإخلاص والولاء جعله الشاعران في مقطعيهما رمزاً للخسة وخيانة العهد، يقول (القرشي):

رفاقي رفاق العذاب.

ألا إنما أمة لا تهاب.

فحتّام تحفظ عهد الكلاب.

وهم ينهشون بأعراضنا.

وهو يستبيحون أقاتنا

ويستأثرون (51)

ويقول (العثيمين):

يا حر (أوراس) العظيم.

اغرس حرابك في الصميم.

واقذف بها الدخلاء أبناء الكلاب.

من دنسوا أرضي وأرضك بالفجور.

من ألبسوا أجواءها ظلم العصور.

وأذى الشرور... (52).

ويتعايش الشاعر السوري (محمد ضياء الدين الصابوني) مع أحداث الثورة، ويتقاسم الآلام مع إخوانه المجاهدين البررة، وينبض قلبه أحاسيساً متوهجة، وانفعالات متأججة، فيجمع في قصيدته "وقالوا: لن يجرئنا قصيد" بين رمزين لا يلتقيان دلالياً، (الكلب) رمز الوضاعة و (الأسد) رمز العفة والقوة والصلابة، فيقول:

إذا عصفت رياح الموت ثاروا أشد قوى من الحجر الصلود.

فأف من زمان صار فيه كلاب الأرض تبطش بالأسود. (53)

وإلى جانب رمزي (القرد والكلب) استعمل الشعراء العرب رموزاً حيوانية أخرى، عبروا بها في غير تصريح عن شعورهم تجاه فرنسا الجائرة، فنجدهم يعتمدون على التعبير الرمزي واللغة الرمزية وعلى لغة الإيحاء والإشارة لحرصهم على كشف الحقيقة وإبرازها بعيداً عن اللغة المألوفة المعتادة، فالرمز عندهم هو «التعبير غير المباشر عن النواحي النفسية المستترة التي لا تقوى على أدائها اللغة في أدائها الوضعية والرمز هو الصلة بين الذات والأشياء، بحيث تتولد المشاعر عن طريق الإثارة النفسية لا عن طريق التسمية والتصريح» (54). ولأن فرنسا تبنّت منهجاً ضائماً، وسياسة جائرة أساسها الخيانة والخداع، أشار إليها الشعراء بالصورة الرمزية فمثلوها ب (الأفعى) التي هي رمز للشر، وللأفكار الخبيثة السوداء التي راودت الاستعمار، إضافة إلى كونها رمزاً للخيانة والمكر السريع والخفي، وفي هذا الصدد يقول الشاعران المصريان (صالح جودت) في قصيدته "فدائية" التي يقول فيها:

فانطلقت دولة الأفاعي بغير دين ولا وصية.

تمرح في العالمين تيهها وتخرق الأرض عنجهية. (55)

والشاعر ( محمد حسن إسماعيل) في قصيدته "زهرة عذاب":

كلما فحت الأفاعي حوايـ | ها وراح الظلام يرخي سدوله.  
وسقى السجن قلبها برحيق | ضل عن حانه الزوال سبيله.  
شربته..... وهذّلت منه كرما | سكرات الخلود تبغي وصوله.  
واستحالت على العذاب محالا | هلكت دون سره كل حيله.<sup>(56)</sup>

لقد ظلت نار ثورة الجزائر متأحجة في قلوب الشعراء، ملتهبة في نفوسهم، نار دخانها قصائد عكست تجربة نفسية وشعورية صادقة، فهي وليدة الشعور بالمعاناة والحرمان، ونتاج الإحساس بالألم الدفين في صدور الجزائريين عبر السنين، قصائد مغمسة بالألم والدموع والأسى، فهي تصور حالة البؤس والشقاء والضياع في غياهب ليل دامس لفرنسا الغاشمة، ولعل أهم ما يميز هذه القصائد أنها لم تكن تخلو من الرموز الحيوانية، فبالإضافة إلى الرموز السالفة الذكر نجد رموزا أخرى استعملها الشعراء العرب للإشارة إلى المستعمر الفرنسي البغيض، وهي (الغول، الوحش)، فعبروا بالرمز اللغوي الغول والوحش للدلالة على الشر والخبث، ومن المواضيع التي وُظفت فيها هذه الرموز الحيوانية قول (موسى النقدي) في قصيدته " أنشودة الثوار الجزائريين":

والوحش من (باريس) بالقذائف المحرقات.

يرجم باب القلعة الصامدة.

ومطر السماء في قاع فؤادي دما.

(....)

يا أيها الوحش ومن كل دار

يطل صوت عربي فيه من كل فم.

حققد وثأر ودم.

(....)

عيوننا كالنجوم.

تسهر طول الليل حتى ينتهي الليل.

وأنت يا وحش لك الويل.

من هذه الأجساد من كل دار.<sup>(57)</sup>

ونجد أيضا رمز (الوحش) في قصيدة "هدير" للشاعر السوري (صالح درويش) والتي يقول فيها:

قهقهات الوحش في "الأطلس" بالموت تمور.

وجراح الأخوة الثوار بالدم تغور.

وسياط الظلم تنهال علينا وتدور.<sup>(58)</sup>

وكذلك في قصيدة "رسالة من جميلة" للشاعر المصري (عبد القادر حميدة) والتي يقول فيها جامعا رمزي

(الوحش) و ( الكلب):

باسم كل الشرفاء...

والأماني الوضاء.

يا رئيس الدولة العجفاء في أرض فرنسا.

دوغما أدنى تحية.

من فتاة عربية.

تشرب الليل كؤوسا من عذاب.

وسياطا من وحوش وكلاب.

وحروقا فوق ظهري..

وعلى وجهي وصدري..<sup>(59)</sup>

ويصور الشاعران (محمد حسن إسماعيل) في قصيدته "زهرة من عذاب" والشاعر (حنا الطباع) في قصيدته

"لبيك يا جميلة" معاناة البطلة (جميلة بوحيرد) ومقاساتها للآلام والأوجاع من فرنسا المتوحشة الشريرة، يقول

(محمد حسن إسماعيل):

كلما زجرت وحوش المنايا واستماتت على رباها الظليلة.

زأرت روحها ... فلم يبق غيب لم يدمر لها الهموم الدخيله.

أذهلت قوة الأعاصير بالصمم ت وردت إلا الظلام عويله<sup>(60)</sup>

ويقول ( حنا الطباع) :

طوباك لما عذبوك ولم تكوني بالدليله.

نزعوا أظافرك الجميلة من أياديك الجميلة.

وتحمل الجسد النحيل مخالب الوحش الثقيله.<sup>(61)</sup>

أما التعبير برمز (الغول) فنجد في قصيدة الشاعر المصري (عبد الرحمن الشرفاوي) في قصيدته " فلتعيشي يا جميلة "، يقول:

أتذكرت الحكاية؟

ربما هزك آنذاك البكاء.

لمصير البنت في السجن. وغيلان كثيرة.

تشعل النيران في السجن لكي تشويها وقت العشاء!

(....)

اذكري في سجنك المقبض والغيلان حولك.

تشتهي لحمك في النيران أو تقتل حبلك.

اذكري والغول بالسكين يخطو نحو سجنك.<sup>(62)</sup>

### 3 - الرمز الثوري:

لقد تجاوب الضمير والوجدان العربيين مع الثورة الجزائرية الخالدة أيما تجاوب لأنها كانت تمثل ثورة شعب بأسره، أراد أن ينال حرته الكاملة عبر الكفاح والمقاومة والتضحيات الجسام، ولهذا نجد الشعراء العرب قد تفاعلوا مع مشاهد البطولة النادرة كبطولة جميلة بوحيرد، والعربي بن مهدي، وعميروش وغيرهم، بل أن الشعب الجزائري بأكمله كان مثالا للبطولة والإقدام والتضحية، والمتصفح لديوان القصيدة الثورية التي وقفت إلى جانب الثورة التحريرية يعرف أن النص الشعري العربي كان مواكبا لتفاصيل الثورة المظفرة، وشاهدا على انتفاضة الشعب الجزائري ومعاناته، وواقفا على حياته اليومية في ظل همجية الاستعمار الفرنسي الذي مارس طغيانه وجبروته على الشعب الجزائري المقهور، وتحت هذه الظروف القاهرة، ظروف القهر والجهل والتخلف والحرمان برز الشعراء العرب ليؤيدوا الثورة، فأصبحوا جزءا منها، يناضلون بالقصيدة والكلمة نضالا قويا مستلهما من قوة الثورة من أجل طرد المحتل وفضح نواياه.

ولما ذاق أغلب الشعراء العرب مرارة الاستعمار والاحتلال، هذه المرارة دفعتهم إلى السعي الحثيث وراء غاية واحدة جمعتهم على مبدأ واحد وهو الانفلات من قيوده والتحرر من أغلاله، والخلاص من تبعيته، وهذا ما يُمكن أن نلمسه في قصائدهم وأشعارهم، بل أن هذه الغاية السامية جعلتهم يشتركون - بالإضافة إلى المبدأ- أيضا في المعجم الشعري الذي فرضه عليهم الهم والواقع المرير أولا، وفرضته عليهم التجربة الشعرية ثانيا، وطبيعة المرحلة ثالثا، وهذا ما أكدّه (عبود شلتاغ شراد) لها قال « ووجدنا أنفسنا أمام

الألفاظ التي تعكس مشاهد الحرب وأحوالها مثل: الدم، الإعصار، الفداء، المقاصل، السلاسل، اللهب، اللطى، الزئير، الدمدمة، ولم يكن ذلك وفقا على شاعر دون آخر، بل كان هو القاموس اللغوي للشعر في تلك المرحلة»<sup>(63)</sup>، ولقد كان هذا المعجم الشعري يضم ألفاظا جعلها الشعراء رموزا ثورية شحونها بمدلولات جديدة تتماشى مع تجربتهم الشعرية المعاشة، ف «مهما تكن الرموز التي يستخدمها الشاعر ضاربة بجذورها في التاريخ... لا بد أن تكون مرتبطة بالحاضر بالتجربة الحالية»<sup>(64)</sup>، وهكذا أصبح التوظيف الرمزي عند الشاعر العربي توظيفا فنيا موفقا بتماشيه مع التجربة الشعرية التي عاشها المبدع، فنجاح الرمز عن الشعراء مرتبط بمدى توافقه مع الواقع.

لقد آمن الشعب الجزائري بضرورة النضال لينفض القهر والذل عن نفسه، ويكسر تلك القيود والأغلال التي فرضتها فرنسا عليه منذ أمد، فالرغبة الجارحة في التحرر والانعقاد وكسر حصار السجن والخروج منه، كشفت نزعة التحرر والرغبة في كسر القيود والأغلال، ولقد تتبع الشاعر العربي هذه الرغبة التي سكنت جوانح الجزائري الأبي، وغدداها بإنتاجه الشعري، وفي قصيدة "إنها المعركة" للشاعر العراقي (حميد حبيب الفؤادي) نجد رموزا لغوية ثورية كثيرة عبر بها عن المستبد أو المستعمر الطاغوي الذي كان سببا في كل المآسي التي تحبّط فيها الشعب الجزائري، يقول في مقاطع منها:

الليل يلفظ آخر الأنفاس في ..

أرض الجزائر.

يشيع الأوغاد في خزي... يلاحق كل سافر.

(...)

الموت للمستعمرين

الموت للجناء أعداء الشعوب.

الموت للأوغاد تجار الحروب.

الموت للأشرار أعداء السلام.

ولأمام.

سارت جحافل ذلك الشعب العظيم.

لتدك أعناق القروود.

المعتدين بلا ضمير.



ومضت لتزرع في رُبي وهران..

آلاف القبور.

من أجل تحرير الجزائر..

من أكفّ المعتدين.

(...)

وترى الشعوب..

ض نهاية الأشرار في أرض..

الجزائر.<sup>(65)</sup>

فالرموز اللغوية الثورية (الأوغاد، الجبناء، أعداء الشعوب، الأشرار، أعداء السلام، المعتدين..) الواردة في هذه الأسطر الشعرية رموز لفرنسا التي كتمت الأفواه وسليت الحريات، بالقمع والاضطهاد اللذان صارا سمة بارزة للاستعمار الفرنسي.

وتتعد الرموز الثورية عند الشاعر السعودي (عبد الله صالح العثيمين) في قصيدته "الثورة الجزائرية" حتى ليتضمن كل بيت من أبيات قصيدته رمزا ثوريا رفع به الشاعر راية الرفض ولواء التمرد على كل مظاهر الاستبداد الاستعماري، ومن بين هذه الرموز نجد (الطامعون، الطاغين، غاز، مغتصب، الطغمة الأوباش، الغاصب، المعتدين ... )، يقول:

شبت جحيم الوغى والشعب موقدها والطامعون وما اقتادوا لها حطب.

لن يبرح الثأر في الأعماق ملتها وقنا في يد الطاغين منتهب.

لن يسكن الثأر ما دامت مرابعا يلهو بخيراتها غاز ومغتصب.

تجرع الغاصبون الكأس مترعة من الحميم ومن آلامه شربوا.

أيحسب الطغمة الأوباش ما جمعوا من العتاد وما ابتاعوا وما وهبوا.

يجتاح ثورتنا؟ من شل وثبتنا عن التقدم ذاك الجحفل اللجب.

للغاصب الحتف والأحداث مؤلمة للمعتدين وللمستعمر العطب.<sup>(66)</sup>

وبمضي الشاعر السوري (سليمان العيسى) في المعنى نفسه ويحرص على تأكيده، إذ نجد في قصيدته "ميلاد شعب" و"الثورة وكسرة الخبز" قد لعب دورا كبيرا في تصوير الاحتلال بأشع الصور من خلال التعبير الرمزي برموز ثورية، فهو (الدخيل واللص والبغي)، يقول في قصيدته "ميلاد شعب" :

ثورة تمسح بالأكباد في سوح الفداء.  
 عن بلادي دنس البغي، ورجس الدخلاء.<sup>(67)</sup>  
 ويقول في موضع آخر:

كم تحملنا نيوب الوحش جيلا بعد جيل.  
 كم صبرنا أيها الليل على " الدخيل "  
 أرضنا نحي، يجر اللص مزهو الذبول.<sup>(68)</sup>  
 ونجده يقول في قصيدته "الثورة وكسرة الخبز":  
 يا صديقي.

يا وميض البعث في الجفن الطعين المستفيق.  
 إصفع " اللص " الذي هدم داري.  
 وشكا التحمة من كنزي، وقوتي: وثماري.  
 إصفع " اللص " بهذا السوط.<sup>(69)</sup>

عانى الشعب الجزائري أصناف العذاب على أيدي سدنة الاستبداد وخدام الاستعباد، ولأن الشعراء كانوا ضمير الأحرار ومثلي إرادتهم ساهموا بإبداعاتهم في رفض الاضطهاد والسجن والتعذيب، والتزموا بهذا الدور النضالي وحملوا على عاتقهم مسؤولية الدعوة إلى الثورة والتمرد والرفض، إذ لعبت أقلامهم دورا هاما في مقاومة الطغاة القساة الذين ساوموا الأحرار وحاولوا شراء الضمائر الحية والقلوب اليقظة. لم يغفل الشعراء العرب عن تصوير صناع مشاهد التعذيب من سحان وجلادين، بل رسموا فصولا مشرّفة في النضال الصامت بين السجين وجلاده في غيابات الأسر وظلمات الحبس، ونقلوا ذلك الصراع بين جلاد يملك آلات التعذيب والقمع، وسجين لا يملك إلا جسده المتحمل للأذى، ويقف في وجه سجّانه وجلّادّه شامخا متحديا ولو بابتلاع الألم والصمت كأدنى رد فعل تجاه العذاب الذي يلقاه. ويضعنا الشاعر العراقي (شفيق الكمالي) في قصيدته " جميلة " أمام أحد أساليب الاستعمار الغاشم في استباحة جسد " جميلة "، وعن طريق التعبير الرمزي بالألفاظ " السحان، الشياطين، الجلاد،.. " وما تحمله من معاني العذاب النفسي والجسدي يجسد صمودها في السجن، يقول:

ما أروع السجينة.

ما أروع الصمود من جميله.

يهابها السجان.

يخيفه إصرار عينيه.

جميلة يهابها الرجال.

أبناء " مريانا "

جميلة اللبوة الجريحه.

من كل وغد أمه في "السين" محظيّه.

وأخته على فراش العهر مرميّه.

تفتت فوق ثغرها ابتسامه.

كأنها تقول

لتشرب السياط من دمي.

ليرتوي الجلاذ. (70).

لم يشكّ السجين من ظروف السجن و سطوة الجلاذ وحالات اليأس والقنوط إذا ما قورنت بحالات الأمل والتفاؤل والتصدي التي كانت تعتريه، فقد واجه هذه الظروف بالصمود والتحدي، فكلما تهادى الجلاذ في بطشه والسجان في طغيانه، تهادى السجين في صموده وتحديه وتمسكه وإصراره على مواقفه، وفي هذا السياق يقول الشاعر السوري (ياسين فرجاني) في قصيدته "غضبة الأحرار" مستخدماً الرمز "جبار، باغ، خؤون، القيد، السجان..":

يا رفاقي قم نحطم كل جبار وباغ وخؤون.

نكسر القيد وبالسجان نهُزاً والسجون.

حقدنا والبؤس والجوع براكين المنون. (71)

وبصدق الشاعر المصري (محمد عادل سليمان) في قصيدته "أغنية إلى جميلة" التي بيّن فيها كيف أذقت (جميلة) كل من السجان والجلاذ العذاب النفسي بقدر ما أذاقها العذاب الجسدي، وبلغه الرمز "السياط، الجلاذ..": يقول:

إنهم لن يقدروا.

حتى على ضرب السياط.

إن في عينيك أحلاماً بعيدة.

تَهْرَمُ الْجَلَادُ.

فِي عَيْنِيكَ أَحْلَامٌ بَعِيدَةٌ.

وَالْبَطُولَةُ. (72).

وتؤكد الشاعرة المصرية ( وفاء وجدي ) هذا المعنى في قصيدتها " أغنية الجزائر " فتقول:

و " جميلة " ترقد مغلوله.

والقيد الأحمق لا يدري

أمكبلها هو .

أم مغلول،

يرزح تحت المقتولة. (73)

ولا يقف الشاعر العربي عند حدود السجن وما ينجرُّ عنه من عذابات نفسية وجسدية في أقبيته المظلمة وزنازينه المدججة بالجلادين، بل يمضي إلى أقصى ما يمكن أن تقدمه السجينة المخلصة لقضيتها العادلة، من توضيحات جسام، فمهما نزع الاستعمار الفرنسي من أساليب القهر والتعذيب ضد (جميلة) في السجن والمعتقل، أصبح السجن عندها لا يعني الحجز والحبس بقدر ما أصبح مرادفاً للتحرر والحرية والانعتاق، ومهما أكل القيد من عظمها، ومهما مزقت السياط لحمها، ومهما أبدع الجلاد في التعذيب وتفنن، فإن الرغبة في الرفض والتمرد و التغيير هي الغالبة، وهي المسقطة جدران الزنازين والسجون، وفي هذا المقام يُطلُّ الشاعر العراقي (جميل صادق حيدر) بقصيدته "جميلة: وهم وسؤال " التي لم تكُ معانيها إلا رجوع لدوي الرصاص، ليعبر برمز " القيد " عن انتصار البطلة على فرنسا المتحجرة، فالقيد الذي كان رمزاً لانتصارها أصبح وصمة عار على جبينها بعد أن استطاعت (جميلة) أن تعطي المثل الأسمى للثورة، فجميلة تمثل الاستثناء لأنها رمز كل ما هو جليل ومقدس، رمز البطولة والتضحية، ورمز المرأة الجزائرية العفيفة، جميلة رمز للقدسية والقوة والشموخ والتحدي، يقول:

شمخت تأكل نار القيد والقيد رجيْف لم تمكَّنه الرجولة.

تتهاوى في ذراعِها نيوب القيد إذ تحدق عيناها فلوله.

(...)

خسئ القيد فما الساعد يدوي وهو مشدود إلى أرك خميله.

(...)

فكرة الإنسان صاغوا القيد للحكم وسيله.  
ولحفظ الحكم سال الوهم فيهم فإذا المنظار يحتمل بأضواء عميله.  
(...)

بالغوا في عملة القيد ليغتالوا به كنز البطولة.  
فإذا القيد يعطيهم دروسا لانتكاسات طويله.  
وإذا هم لَوَعُوا. فوق احتمالات الرذيله.  
هل غرقت الآن يا سمراء، من كانوا، ومن كانت جميله.<sup>(74)</sup>

إن الخطاب الأدبي عامة، والخطاب الشعري خاصة، خطاب رمزي بامتياز، إذ لا يخلو أي عمل أدبي مهما تفاوتت قيمته الأدبية والفنية من إبداع إلى آخر من مدلول رمزي، الأمر الذي يجعل من الرمز « وسيلة إيحائية من أبرز وسائل التصوير الشعرية»<sup>(75)</sup>، لذلك « أدرك الشعراء المعاصرون أكثر من سابقهم، ما في الرمز من امتلاء، وخصوبة، وما فيه من طاقة في أن يفتح أمام الشاعر والقارئ معا، فيضا من الإحياءات التي لا تنتهي إذا أحسن الشاعر استعماله»<sup>(76)</sup>. ولأن التعبير الرمزي بالرمز الثوري سمة جمعت الشعراء العرب في مرحلة الثورة التحريرية، نجد أن كثير من هؤلاء المبدعين من اعتمد في قصائده على التوظيف الرمزي المزدوج، فهم يزاوجون في بعض إبداعاتهم بين الرموز الثورية التي توحى بالقوة والرفض والتحدي، وتلك التي نوحى بالظلم والتعدي والجور والتسلط، وهذا ما كان «يغلب على الشعراء استخدامهم لهذه الرموز التي توحى بالمقاومة، والنضال، والصراع، أو توحى بالاضطهاد والظلم، والقهر»<sup>(77)</sup>، ومن أمثلة ذلك قصيدة الشاعر (محمد المصري) التي سماها "جزائرية" وهي القصيدة التي اصطبغت بصبغة ثورية نضالية بارزة، يقول فيها:

يا جميله..  
أتراهم يقصفون الغصن المورق..  
من فارعة الحور الطويله..  
أتراهم يطفئون الغابة الخضراء.  
في العين الجميله..  
أترى تهدأ .. هاتيك الجديله!؟  
أبدا...

لن يقطعوا الأيدي التي تقذف نيران القنابل.  
لن يخيفوا لهفة الثوار من خلف المعازل..  
أرضنا المورقة الخصب الخضيلة..  
تطلع الأغصان فيها .. ألف عين لجميله..  
وجميله...

وملايين مناضل..

لم نزلزل قلوبهم .. ريح المقاصل..

ولهيب الموت من بين الحرائق..

أبدا .. لن يطفئوا الثورة..

في نار البنادق..

ستشع النار من عيني جميله..

من جراحات جميله..

من جديلات جميله..

(...)

نحن أدرى .. لن تكون المقصلة ...

في عيون البطله...

غير لحظات نضال لا تموت... (78)

فالشاعر من خلال هذه الأسطر الشعرية يجمع عن طريق التعبير الرمزي بين مشاهد الظلم والثورة ( الغصن المورق، الجديلة، المقاصل..)، (القنابل، المعازل، الثورة، البنادق، المناضل،..) وهي رموز توحى بالقوة والصمود والتحدي ورفع راية الكفاح حتى تحقيق النصر.

وهذا الشاعر السوداني (محمد مفتاح الفيتوري) ينقل إلينا في قصيدته "رسالة إلى جميلة" معاناة الثائرة (جميلة بوعزة) بين جدران السجن وأيدي السجان، وعن طريق التوظيف الرمزي المزدوج - الذي أشرنا إليه سلفاً - يقول:

لن تسمع الجدران يا جميلة!

فالسجن مثل جبهة السجان.

من حجر صخر .. ومن صوان.  
وما الذي تصنع راحتان.  
نخيلتان... مستطيلتان.  
لامرأة صغيرة .. نخيله!  
\*\*\*

السجن لا يسمع يا جميله.  
إلا انقضاض المعاول.  
إلا انفجار القنابل.  
إلا عويل الزلازل.  
السجن سكران .. قاتل.  
وأنت لا فأس ... ولا معول.  
لا خنجر ماض .. ولا منجل.  
أنت حمامة تحجل..  
في قدميها السلاسل.  
\*\*\*

(...) أي حياة داخل السجن!؟  
هل سالت عينك هذا السؤال.  
وأنت بين السوط والقيد.  
فابتلتا بأدمع الحقد.  
أ يا ترى لمحت بين الجبال.  
طلائع الثوار خلف الجبال.  
وهي تسد الأفق بالأيدي.  
فاهتز في روحك حب جميل.  
حب فتى جزائري نبيل.  
ما زال حيا في صفوف النضال.

(...) لا بد أن يضيء السبيل.

لثورة تزحف عن بعد.

(...) قوة شعبك العظيم.

غضببان، فرحان، ثائر. (79)

إن التعبير بهذه الرموز الثورية التي تضمنتها هذه الأسطر بقدر ما نجد وراءها آلاما ودموعا يبقى ما وراءها أعمق وأكثر إيلاما، فالشاعر صور لنا حالة السجينة وهي تحت الاضطهاد والقهر والإذلال (السجن، السجن، السلاسل، السوط، القيد..)، لكن وعلى الرغم من ذلك يتحداهم الشاعر أن يقيدوا وأن يقتلوا الثورة، فالأسلاك والقيود والأغلال والأصفاد لا يمكنها أن تنال غير الأجساد أما الثورة فهي فكر حر طليق، إنها ثورة شعب ألف العيش حرا بلا قيود ( الثوار، النضال، ثورة، غضبان، فرحان، ثائر..).

### خاتمة

لقد كانت جل الرموز عند الشعراء العرب بسيطة سهلة لا غموض فيها، لأنهم وظفوها للتعبير عن الوقائع والأحداث، وليعطوا قصائدهم قوة تعبيرية لتكون في الأخير صورة واضحة المعالم عن ثورة الجزائر، وهكذا يظل الرمز فاتحا لفضاءات التحديد في القصيدة الحديثة، إذ يمنحها صيرورة التجدد عبر الزمن، « ولعل السبب الأساسي الذي جعل الشعراء المعاصرين يعتمدون الرمز في صورهم وتعابيرهم هو قناعتهم بأن لغة الشعر يجب أن تتعد قدر الإمكان عن الوضوح والتحديد، والرمز وحده هو الذي يضفي على لغته مسحة من العمق، والشفافية، والإيحاء» (80)

ومما تقدم يتضح لنا بأن كل شاعر من الشعراء العرب حمل بين طياته قبيل الثورة وأثنائها إرهاباتها معبرا عن النقمة والتلملم الراض فصور الأوضاع الفاسدة، والقلق والتوتر، وساهم في الدعوة إلى الوثبة فواكب شعره واقع الحرب والثورة فجمع بين الالتزام العاطفي والالتزام النضالي والالتزام القومي، ودار حول محاور مشتركة أهمها التعلق بأرض الجزائر والإصرار على تحررها، والتغني بالماضي، والتمسك بالدين والعروبة، والهدف الأسمى هو التغني بالجزائر وثورتها النوفمبرية الخالدة عبر الأزمان، وهذا مما لا ريب فيه إذ يمكن الجزم « أن الثورة الجزائرية بعظمتها استطاعت أن تتحول في أعين الشعراء العرب إلى ما يشبه الأسطورة، فكان كل ما يتعلق بهذه الثورة ينطبع عندهم بهذا الطابع» (81).

ومَّا سبق فإن مما عرضناه عن الثورة الجزائرية في الشعر العربي وبعد دراسة النصوص الشعرية ومحاورتها فإننا خلصنا إلى ما يلي:



كش نوع الشعراء العرب في استعمال الرموز وفق مدلولاتها ودلالاتها، فنجد الرمز الطبيعي، والحيواني، والرمز المكاني واللغوي، ولقد دلّ هذا التنوع في الترميز على التنوع في الإحساس وفي التجربة الشعورية وإن تفاوت الشعراء في القدرات الفنية والإبداعية.

كش لقد عوّل الشاعر العربي كثيرا على الرمز الشعري، فهو وسيلته في تجسيد تجربته الشعورية المستوحاة من واقع الثورة الجزائرية، ولقد استقى رموزه من حاضره، خاصة إذا علم بأن نجاح رمزه مرهون بمدى ارتباطه بالواقع المعاش، وكما قال (عز الدين إسماعيل) «مهما تكن الرموز التي يستخدمها الشاعر ضاربة بجذورها في التاريخ... لا بد أن تكون مرتبطة بالحاضر، بالتجربة الحالية»<sup>(82)</sup>.

كش أسهمت الرموز التي وظفها الشعراء العرب في إثراء قصائدهم، وتعزيز تأثيرها، ولقد اقتنع هؤلاء الشعراء بأن الأفكار السطحية العادية تكون أكثر تأثيرا عند صياغتها صياغة رامزة موحية.

كش أكسبت الرموز القصائد العربية أبعادا تصويرية هامة لم تكن متوافرة دونها، وهذا ما جعل الرمز عند الشاعر العربي «وسيلة إيجائية من أبرز وسائل التصوير الشعرية»<sup>(83)</sup>.

كش لقد اقتضى بناء القصيدة الحديثة ابتداء الشعراء العرب رموزا خاصة بهم، وهذا سعيا منهم وراء اكتشاف وسائل تعبيرية لغوية جديدة.

كش أكثر الشعراء العرب من استخدام الرمز بكيفيات مختلفة في نصوصهم الشعرية، بغية توصيل ما أرادوه، لذلك كان الرمز أداة فنية مهمة في إغناء التجربة الشعرية.

## الهوامش

<sup>1</sup> - إسماعيل، عز الدين، الشعر العربي المعاصر قضاياها وظواهره الفنية والمعنوية، دار الثقافة، بيروت، (د ت)، ص 218.

<sup>2</sup> - زمالي، نسيم، قراءة في إياذة الجزائر لمفدي زكريا، دار الهدى للطبع والنشر والتوزيع، عين مليلة، الجزائر، 2012، ص 66.

<sup>3</sup> - ناصر، محمد، الشعر الجزائري الحديث اتجاهاته وخصائصه الفنية 1925-1975، دار الغرب الإسلامي، بيروت، (ط 2)، 2006، ص 550.

<sup>4</sup> - المرجع نفسه، ص 551.

<sup>5</sup> - إسماعيل، عز الدين، الشعر العربي المعاصر، ص 219.

- 6 - سعدي، عثمان، الثورة الجزائرية في الشعر العراقي، دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، (ج1)، (ط2)، 2014، ص 174-175.
- 7 - المرجع نفسه، ص 325-326.
- 8 - المرجع نفسه، ص 73.
- 9 - الثورة الجزائرية في الشعر العربي (مختارات)، دار الأبحاث للترجمة والنشر والتوزيع، الجزائر، (ط1)، 2011م، ص31.
- 10 - سعدي، عثمان، الثورة الجزائرية في الشعر العراقي، (ج2)، (ط2)، ص789.
- 11 - الثورة الجزائرية في الشعر العربي (مختارات)، ص 339.
- 12 - سعدي، عثمان، الثورة الجزائرية في الشعر العراقي، (ج1)، (ط2)، ص199.
- 13 - الثورة الجزائرية في الشعر العربي (مختارات)، ص 220.
- 14 - سعدي، عثمان، الثورة الجزائرية في الشعر العراقي، (ج 1)، (ط2)، ص 227-228.
- 15 - الثورة الجزائرية في الشعر العربي (مختارات)، ص 313.
- 16 - سعدي، عثمان، الثورة الجزائرية في الشعر العراقي، (ج1)، (ط2)، ص 100.
- 17 - المرجع نفسه، ص 209.
- 18 - المرجع نفسه، ص 210.
- 19 - المرجع نفسه، ص 176.
- 20 - المرجع نفسه، ص 220.
- 21 - المرجع نفسه، ص 216.
- 22 - المرجع نفسه، ص 216.
- 23 - سعدي، عثمان، الثورة الجزائرية في الشعر السوري، دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، (ج 2)، (ط2)، 2014، ص 748.
- 24 - الثورة الجزائرية في الشعر العربي (مختارات)، ص 33.
- 25 - سعدي، عثمان، الثورة الجزائرية في الشعر السوري، (ج 2)، (ط2)، ص 727.
- 26 - الثورة الجزائرية في الشعر العربي (مختارات)، ص 266.
- 27 - المرجع نفسه، ص 267.
- 28 - المرجع نفسه، ص 96.
- 29 - سعدي، عثمان، الثورة الجزائرية في الشعر السوري، (ج2)، (ط2)، ص 893.

- 30 - سعدي، عثمان، الثورة الجزائرية في الشعر العراقي، (ج1)، (ط2)، ص 284.
- 31 - سعدي، عثمان، الثورة الجزائرية في الشعر العراقي، (ج 2)، (ط2)، ص 719.
- 32 - سعدي، عثمان، الثورة الجزائرية في الشعر السوري، (ج 2)، (ط2)، ص 456.
- 33 - سعدي، عثمان، الثورة الجزائرية في الشعر السوداني، دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، (ط2)، 2014، ص 456.
- 34 - سعدي، عثمان، الثورة الجزائرية في الشعر السوري، (ج 2)، (ط2)، ص 461.
- 35 - المرجع نفسه، ص 340.
- 36 - المرجع نفسه، ص 340 - 341.
- 37 - مجلة الآداب، السنة السابعة، العدد الرابع، أبريل، 1959، ص 16.
- 38 - سعدي، عثمان، الثورة الجزائرية في الشعر العراقي، (ج 2)، (ط2)، ص 562.
- 39 - سعدي، عثمان، الثورة الجزائرية في الشعر السوري، (ج 2)، (ط2)، ص 911.
- 40 - المرجع نفسه، ص 723.
- 41 - المرجع نفسه، ص 748.
- 42 - ناصف، مصطفى، الصورة الأدبية، دار الأندلس للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، (ط3)، 1983، ص 171.
- 43 - سعدي، عثمان، الثورة الجزائرية في الشعر العراقي، (ج1)، (ط2)، ص 280.
- 44 - المرجع نفسه، ص 282.
- 45 - سعدي، عثمان، الثورة الجزائرية في الشعر السوري، (ج 2)، (ط2)، ص 482.
- 46 - المرجع نفسه، ص 560.
- 47 - سعدي، عثمان، الثورة الجزائرية في الشعر العراقي، (ج 2)، (ط2)، ص 684.
- 48 - الثورة الجزائرية في الشعر العربي (مختارات)، ص 187.
- 49 - سعدي، عثمان، الثورة الجزائرية في الشعر العراقي، (ج1)، (ط2)، ص 200.
- 50 - المرجع نفسه، (ج2)، (ط2)، ص 485.
- 51 - الثورة الجزائرية في الشعر العربي (مختارات)، ص 26.
- 52 - الثورة الجزائرية في الشعر العربي (مختارات)، ص 36.
- 53 - سعدي، عثمان، الثورة الجزائرية في الشعر السوري، (ج 2)، (ط2)، ص 906.
- 54 - هلال، محمد غنيمي، النقد المقارن، دار العودة، بيروت، لبنان، 1983، ص

- 55 - الثورة الجزائرية في الشعر العربي (مختارات)، ص 233.
- 56 - المرجع نفسه، ص 324.
- 57 - سعدي، عثمان، الثورة الجزائرية في الشعر العراقي، (ج 2)، (ط2)، ص 802-803.
- 58 - سعدي، عثمان، الثورة الجزائرية في الشعر السوري، (ج 2)، (ط2)، ص 711.
- 59 - الثورة الجزائرية في الشعر العربي (مختارات)، ص 300.
- 60 - الثورة الجزائرية في الشعر العربي (مختارات)، ص 324.
- 61 - سعدي، عثمان، الثورة الجزائرية في الشعر السوري، (ج2)، (ط2)، ص 482.
- 62 - المرجع نفسه، ص 297-298.
- 63 - شلتاغ عبود شراد، حركة الشعر الحر في الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985، ص 137.
- 64 - إسماعيل، عز الدين، الشعر العربي المعاصر، دار العودة، بيروت، لبنان، (ط3)، 1981م، ص 199.
- 65 - سعدي، عثمان، الثورة الجزائرية في الشعر العراقي، (ج1)، (ط2)، ص 199-200-201.
- 66 - الثورة الجزائرية في الشعر العربي (مختارات)، ص 38.
- 67 - سعدي، عثمان، الثورة الجزائرية في الشعر السوري، (ج 2)، (ط2)، ص 540، ديوان الجزائر لسليمان العيسى، ص 33.
- 68 - سعدي، عثمان، الثورة الجزائرية في الشعر السوري، (ج 2)، (ط2)، ص 542، ديوان الجزائر، لسليمان العيسى، ص 34.
- 69 - المرجع نفسه، ص 572، ديوان الجزائر، لسليمان العيسى، ص 69.
- 70 - سعدي، عثمان، الثورة الجزائرية في الشعر العراقي، (ج1)، (ط2)، ص 34-342.
- 71 - سعدي، عثمان، الثورة الجزائرية في الشعر السوري، (ج 2)، (ط2)، ص 993.
- 72 - الثورة الجزائرية في الشعر العربي (مختارات)، ص 317-318.
- 73 - المرجع نفسه، ص 348-349.
- 74 - سعدي، عثمان، الثورة الجزائرية في الشعر العراقي، (ج1)، (ط2)، ص 138-139.
- 75 - زائد، علي عشري، عن بناء القصيدة العربية الحديثة، مكتبة دار العودة، الكويت، 1981م، ص 110.
- 76 - ناصر، محمد، الشعر الجزائري الحديث اتجاهاته وخصائصه الفنية، ص 549.
- 77 - المرجع نفسه، ص 551.
- 78 - مجلة الآداب، السنة السادسة، العدد الرابع، نيسان (أفريل)، 1958، ص 9.
- 79 - مجلة الآداب، السنة السادسة، العدد الأول، كانون الأول (يناير)، 1958، ص 48-49.

- 80 - ناصر، محمد، الشعر الجزائري الحديث اتجاهاته وخصائصه الفنية، ص 549.
- 81 - المرجع نفسه، ص 549.
- 82 - إسماعيل، غز الدين، الشعر العربي المعاصر، دار العودة، بيروت، (ط3)، 1981م، ص 199.
- 83 - عشيري زائد، علي، عن بناء القصيدة العربية الحديثة، مكتبة دار العروبة، الكويت، 1981م، ص 110.